مركز روافد
للدراسات والأبحاث في حضارة المغرب وتراث المتوسط
Rawafed center for Studies and Researches
in Maghreb Civilization and Mediterranean Heritage
rawafedcenter.org

عتبة العنوان في التراث النقدي والبلاغي بالغرب الإسلامي:

الصنعة الإبداعية وبلاغة التلقي

قسم الدراسات

محمد جمالي

باحث في اللغة العربية وآدابها

14 فبراير 2019

جميع الحقوق محفوظة © 2019

تمهيد:

يتضح من نظريات القراءة والتلقي وسيميائيات النص، أن دراسة النصوص صارت مشروطة بالانطلاق أولا من عتباتها، كالعناوين الرئيسية والفرعية والإهداءات والمقدمات وغيرها. وهي ما يسمى بالنصوص الموازية Paratexte بتعبير جرار جينيت Gerard Genette الذي وضع هذا المصطلح منذ سنة 1987م، ضمن مؤلفه "**عتبات**". ويرتكز على مجموع الخطابات والتعليقات والدراسات، ومختلف العناصر المحيطة بالنص أو بمتن المؤلف، والتي تشكل في مجملها سلسلة من المعلومات الكفيلة بالمساهمة في الإمساك بمقاصد النص ودلالاته. وقد تكون هذه العناصر من وضع المؤلف نفسه، أو من انجاز كتّاب آخرين أو غيرهم من المهتمين بموضوع الكتاب.

وتتفرع النصوص الموازية عموما إلى نوعين اثنين هما:

1- نصوص محيطة بمتن الكتاب من الداخل، كالعناوين الرئيسة والعناوين الفرعية، وخطاب المقدمة والخاتمة، والأفكار الموضوعة في بداية المؤلف أو في مقدمة مباحثه. وتسمى عند جنيت ب: Peritexte؛

2- مختلف العناصر المحيطة بالمؤلف من الخارج؛ كالدراسات النقدية، والحوارات، وما ينشر حوله من الآراء في الجرائد وغيرها. وتسمى عنده أيضا ب:[1] Epitexte .

[1] - ينظر: Gerard Genette, Seuils, Paris, Seuil 1987

وتكتسب هذه العتبات أهمية بالغة في الكتب النقدية والبلاغية، لاسيما ما يتعلق بعناوينها ومقدماتها، لأنها بمثابة المشيرات النصية الأولى التي ينطلق منها المتلقي للوقوف على مقاصد المؤلَّف وأبعاده، بالنظر إلى ما قد تثيره في نفسه من أسئلة وتأويلات، ستجعله أكثر ارتباطا بالمؤلَّف، وتدفعه إلى قراءته والعمل على التعريف به وتداوله بين الدارسين والمهتمين بموضوعه ومجاله المعرفي.

وبما أن الأمر هنا يتعلق بعتبة العنوان، فالملاحظ **أنه " يحظى بأهمية متميزة في الدراسات النقدية المعاصرة، بالنظر إلى العلاقة التي تشده إلى النص / الكتاب، الذي يحمله؛ فهو يعين هذا النص ويصفه ويوجه القارئ إلى سبل الإمساك بمعانيه ودلالاته. وبهذا المعنى فالعنوان يتضمن النص بقدر ما يتضمن النص العنوان كذلك. إن العلاقة بينهما جدلية وذات إحالة مزدوجة".**[2]

وتتأكد أهمية العنوان أكثر في ضوء ما يؤديه من وظائف تصب في مجملها في تعيين أبعاد المؤلّف والكشف عن مضامينه، علاوة على ما يساهم فيه من تداوله بين المهتمين على نطاق واسع. من ثم فهو بمثابة منافس شرس لخطاب المقدمة، لاسيما إذا أخذنا بعين الاعتبار ما تسفر عنه صنعته الإبداعية من مستويات فنية ودلالية قمينة بجعله أبرز المداخل التي تفضي إلى مضامين الكتاب وتهيمن على موضوعه ومقصدية المؤلف من تأليفه.

والملاحظ أن عددا من الدراسات التي تناولت كتبا بالتحقيق أو الدراسة لم تلتفت إلى أشكال العناوين من حيث صنعتها الإبداعية وبناؤها الفني واللغوي وبعدها الوظيفي،

[2] - قراءة المؤلفات، إدريس الخضراوي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2007- 2008، ص. 38.

فانصرف معظمها إلى الحديث عن الكاتب وظروف إنتاج الكتاب، ثم الكلام على أبوابه وفصوله والكشف عن موضوعه، ولم تتفطن إلى أهمية هذه العتبة من حيث ما تسفر عنه من لمسات فنية ومقاصد دلالية تعكس البراعة في تكثيف المعاني بأوجز عبارة وأدقها في التبليغ والتوصيل، وذلك وفق ما يجعل رسالة العنوان غاية في حد ذاتها لا تعبر إلا عن نفسها، ويصبح بمثابة نص إبداعي راسخ في ذاكرة المتلقي والقارئ. فالعنوان بهذا الاعتبار: **" يمدنا بزاد ثمين لتفكيك النص ودراسته، كما أنه يقدم معرفة كبرى لضبط انسجام النص وفهم مقاصده؛ إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه"**[3].

وتنصب هذه المداخلة على دراسة المستويات الآتية في عتبة العنوان:

1- مبنى العنوان وبلاغة الإيجاز؛

2- مبنى العنوان ومقتضيات المعجم؛

3- خطاب العنوان وملاءمة المعنى؛

4- التشاكل بالمماثلة في مبنى العنوان؛

5- مبنى العنوان وحروف المعاني؛

6- الوظيفة التأثيرية للعنوان.

وهذا كله طبعا من خلال نماذج تطبيقية مستقاة من مصادر التراث النقدي والبلاغي بالغرب الإسلامي، آملين أن نكون عند حسن الظن والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

[3] -دينامية النص: تنظير وانجاز، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1987، ص. 72.

1- مبنى العنوان وبلاغة الإيجاز:

إذا كان الكلام، كما يشير الخليل بن أحمد الفراهيدي، يطول ويكثر ليفهم، ويوجز ويختصر ليحفظ[4]، فإن مرد ذلك بالأساس إلى ميل العرب نحو مراعاة مقتضى الأحوال في أصناف الخطاب، والتقيد بالمقصد الذي من أجله صدر الكلام عن المتكلم، فينحو نحو الإطالة والإطناب، أو يصدف عنها نحو الإيجاز والإقلال. لهذا روي أن أبا عمرو بن العلاء سئل: " أكانت العرب تطيل؟ قال: نعم لتبلغ، قيل أفكانت توجز؟ قال: نعم، ليحفظ عنها "[5].

وبما أن موضوع هذه المداخلة يرتكز على دراسة أسلوب العنونة وصيغها في تشكيل العبارة على نحو ما يدعو المتلقي إلى معاضدة المؤلّف في التعبير عن خطاب قصدي[6]، فإن مبنى العنوان يرتهن إلى أسلوب الإيجاز والاختصار، وحذف فضول الكلام بالشكل الذي يؤشر على المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، ويشير إلى المقصد إشارة وإيماء دون تصريح؛ يقال: عنَّ الكتاب يَعِنُّه ويعُنه عَنّا وعنَّنَه كعَنْونه عنوانا: إذا أظهره أمامك. وعنونته وعلونته بمعنى واحد، مشتق من المعنى. ويقال للذي يُعرض ولا يُصرح: قد جعل كذا وكذا عنوانا لحاجته. أنشد بعضهم قائلا:

وتعرف في عُنوانها بعضَ لحْنها وفي جوفها صَمْعاء تحكي الدواهيا

---

[4] - ينظر كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1972، ج.1، ص. 186.

[5] - نفسه : ج. 1، ص. 83.

[6] - الترجمة و التأويل التداولي، احمد كروم، ضمن مجلة عالم الفكر، المجلد 41، العدد 4، أبريل- يونيو 2013: ص. 211.

وكلما استدللت على شيء تظهره على غيره، فهو عنوان.

قال الأخنس بن شهاب الثغلبي:

فلابنة حِطّان بن قيس منازل كما نمّق العنوانَ في الرّق كاتب

ومعناه أنه لم يبق من منازلها إلا رسوم، نظير ما يبقى في الرق من رسوم الكتابة ودلالتها على المكتوب.[7]

والإشارة بالعنوان كالإشارة باليد، والغمز بالحاجب، والإيماض بالعين، لأنه قد يكتفى به عما في غضون المؤلف دون الاطلاع عليه. وقد نقلت عن علماء البلاغة أمثلة كثيرة عن بلاغة الإشارة. ومما أوردوه من شواهد في هذا السياق:

وتومي إليه باللّحاظ سِلامُها مخافة واش حاضر ورقيب

وقول الآخر:

أشارت بطرف العين خفية أهلها إشارة محزون ولم تتكلم

فأيقنتْ أن الطرف قد قال مرحبا وأهلا وسهلا بالحبيب المسلِّم[8]

لذلك فمن شروط العنوان البليغ ماله حظ من التكثيف والاختزال، لا يبلغ به درجة الاستثقال، وقسط من الكمال لا يبلغ به حد التزيّد أو التكلف والإضجار، علاوة على تخلصه من فضول الكلام، ما عدا ما تقتضيه من العناوين الفرعية اللازمة؛ ذكر الجاحظ في

[7] - مقدمة تحقيق كتاب عنوان النفاسة، لابن زاكور الفاسي، تحقيق محمد جمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى، 2013.

[8] - ينظر كتاب نقد النثر، قدامة ابن جعفر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، 1980، ص. 63 وما بعدها.

معرض حديثه عن فضول الكلام: "إن فضول النظر من فضول الخواطر، وفضول النظر تدعو إلى فضول القول، وفضول القول تدعو إلى فضول العمل، ومن تعود فضول الكلام (...) خرج إلى استكراه القول، وإن أبطأ أخرجه إبطاؤه إلى أقبح الفضول"[9].

ولعل مسألة التزيّد في عتبة العنوان لا تحتاج إلى بيان أكثر، على اعتبار أن بنية العنوان بطبيعتها تأتي من غير تطويل مع قلة في عدد ألفاظها وغزارة في معانيها ومقاصدها.

ومن العناوين التي استوقفتني في هذا الباب، اذكر هذه العتبة "**رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة**" لأبي القاسم أحمد الشريف السبتي المتوفى ما بين 761/760 هـ، وهو عنوان مؤلف رفع به صاحبه شارة التحدي في وجه الأندلس في شخص شاعرها وناقدها الذي لا يُرام، البلاغي الفيلسوف حازم القرطاجي المتوفى سنة 684 هـ مؤلف كتاب **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**.

ولعل ما يثير الانتباه في عنوان هذا المؤلف أن صاحبه بصدد مواجهة أطول وأعمق مقصورة شهدها تراثنا العربي بإطلاق، وهي المقصورة الحازمية التي تشتمل على ألف وستة أبيات (1006 بيت).

وقد جاء عنوان هذا الشرح محيطا بالمعنى، ودالا على المقصد من غير تزيد أو تكلف في العبارة، كما أنه ينم عن طبيعة العدة النقدية التي أعدها المؤلف لمواجهة هذا المتن؛ ذلك أن **رفع الحجب** دليل على ما رصده الشريف السبتي لهذا الغرض من استعداد نفسي وجهاز

[9] - ينظر البيان و التبين، أبو عثمان الجاحظ، تحقيق محمد عبد السلام هارون، مطبعة دار التأليف بمصر، الطبعة الثالثة، ج. 1، ص. 193.

معرفي يغري المقصورة بأن تسفر عن لثامها، وتأتي معانيها طيعة ذلولة لا يجديها هُرب، على نحو ما ذكر الشاعر محمد بن إبراهيم في معرض الكشف عن تمكنه من ناصية المعنى الشعري، والإشادة بموهبته في ذلك قائلا:

معانيه لي قد أسفرت عن لثامها ويأتي ذلولا منه لي يسْهل الصعب

أطوف على أزهاره متنشقا وأشرب من سلساله وهو لي عذب

والشيء الأكيد أن العنوان هنا يؤشر دلاليا على أن السبتي لم يكن ليرفع الحجب، ويسير أغوار هذه المقصورة التي جمعت فأوعت، وحازت من المحاسن فأغنت، لو لم يكن على قدر كبير من التكوين الأدبي، والمراس النقدي الذي يكشف عن تمكن عميق من حدود الشعر والعلم به تذوقا ومعرفة وتحليلا وتوثيقا ونقدا.

تتجلى بلاغة الإيجاز في هذا العنوان من خلال مستويات أبرزها:

- إن الجهار القراءة عند أبي القاسم السبتي يستند إلى وعي نقدي منفتح وقادر على النفاذ إلى عمق المقصورة وهتك سترها، واستيعاب فعل النص، وفق ما يتجانس مع تصور حازم وقد يتعداه؛
- إن شعرية المقصورة ذات طاقة تخيلية وفعالية فنية، لا يمكن قراءتها قراءة أحادية البعد، إنما تستدعي آليات تأويلية كفيلة بإماطة اللثام عن مستوياتها الفنية ورفع الحجب عن جودتها الإبداعية؛

- لم يكن اهتمام السبتي ومن جايلة من النقاد والشراح في عصره، بمقصورة حازم القرطاجني " **نصا ومبدعا** " من قبيل الترف الفني، أو شكل من أشكال الصدف في الممارسة النقدية، إنما هو أمر له دلالته الكبرى فيما عبر عنه **العنوان** من ممارسة معارضة العدوتين لبعضهما البعض في مجال الفكر والأدب، لذلك لم تكن مواجهة هذه المقصورة في غريبها وأسلوبها وأغراضها ومعارفها مواجهة سهلة، خصوصا وان مؤلفها حازما القرطاجني يمثل ذروة سنام عصره في اللغة والبلاغة والنظم.[10]

لذلك، فإن **رفع الحجب** يكشف في العمق عن مدى المثاقفة العلمية التي أسفرت عنها النصوص الإبداعية الفريدة والمختارة، فكرست صورة التحدي المغربي الأندلسي على نحو لافت ومتشعب المسارب، كما يدل على ذلك ما عانه السبتي في سبيل التقاط كل شارد وارد، وكل غريب من اللغة والبلاغة والتاريخ والنحو، فلا يعجز عن مجاراة حازم وتعميق القول في كل جزئيات المقصورة، والكشف عن صفحاتها وصورها الجميلة[11].

علاوة على ذلك، فالطاقة الإيحائية لعناصر العنوان: **رفع الحجب ← محاسن المقصورة،** يدفع المتلقي إلى التفاعل معها على مستوى بعدها الفني الإيحائي المتعدد والمضاعف، لاسيما أن صنعته الإبداعية خاضعة في تأليفها لمبدأ التصوير المجازي، وذلك عبر التنسيق بين عدة

[10] - ينظر مناهج النقد الأدبي بالمغرب، علال الغازي، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1999، ص. 307.

[11] - نفسه: 307.

وحدات تعيد خلق أوضاع جديدة لمكونات اللغة، على نحو ما حول معانيها إلى دلالات إيحائية تفي بحاجة الإبداع، وتدفع المتلقي إلى إنتاج المعنى.

ويتمثل هذا التصوير المجازي في أسلوب الاستعارة الذي اعتمده المؤلف، لما تخيل كما لو أن المتن المشروح ذو وجه وضاء يخفي من المحاسن، ما لا يتأتى الوصول إلى كنهها إلا بعد مكابدة فعل القراءة، ومعاناة تفتيق بنيات الحجب وتفكيك أنساقها الملغزة.

وهكذا ديدن المؤلفين في بناء عناوين مصنفاتهم على التماثل بالاستعارة، الذي يملك إمكان خلق نظام دلالي ذي مقاصد ومعان متعددة الإبعاد، ويعطي العنوان سيمة الإيجاز بتقديم العديد من المعاني بالقليل من الألفاظ. إضافة إلى "ضم عدد من التجارب والمعاني والسياقات المتعددة بطريقة لا تتضافر بنفس الثراء في أنماط بلاغية أخرى، إنه يعطي لها القوة، ويجعلها قادرة على الاختزال وتكثيف المعاني"[12].

لهذا، فعتبة العنوان في هذا المصنف وأمثاله من مصادر التراث النقدي والبلاغي بالغرب الإسلامي: **كأنوار التجلي** لأبي عبيد الله الثعالبي، **وتجلي غرر المعاني عن مثل صور الغواني**، للأعلم الشنتمري، **وعنوان النفاسة في شرح الحماسة**، **وتزيين قلائد العقيان بفرائد التبيان**، **والروض الاريض**، **وتفريج الكرب** لابن زاكور الفاسي، **والمسلك السهل** للإفراني، **والأنيس المطرب** لابن الطيب العلمي، **والتقاط الدرر** لابن الطيب القادري، **وجذوة الاقتباس** لابن القاضي.... وغيرها.

[12] - البلاغة والاستعارة، سعاد أنقار، ضمن مؤلف الحجاج: مفهومه ومجالاته، اربد- الأردن، الطبعة الأولى، 2010، ج. 2، ص. 154.

هذه العناوين تعكس في مجملها مظهرا من مظاهر التصوير اللغوي الذي يقدم المعنى في صورة إبداعية تتكاثف فيها أبعاد، وتجارب متعددة، بنحو ما يجعلنا نقر بكونها في حاجة إلى دراسة مستفيضة ومستقلة لا تسمح بها سلطة المقام في هذه القراءة العابرة، ذلك أن المؤلف يلجأ إلى التقاط العناصر اللازمة للتعبير عن مكنون المؤلف، والقادرة على اختزال دلالاته وسياقاته وتجاربه في قليل من العبارات، حتى يبلغ منه كل ما يريد من مخاطبة الأذهان واستمالة القلوب. وقديما قال المبرد: " إن حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى، حتى تكون الكلمة مقارنة أختها، ومعاضدة شكلها، وأن يقرب بها البعيد ويحذف منها الفضول.[13]

وأغلب الظن إن بنية هذه العناوين ذات تركيب مخصوص، فعناصرها متعلق بعضها ببعض على وجه مقصود ومترتب بعضها على بعض بوجه مدروس سلفا، ومن ذلك عنوان هذا الشرح في العروض والقافية: **النفحات الأرجية والنسمات البنفسجية بنشر ما راق من مقاصد الخزرجية**[14].

فهذا العنوان بلا شك، في صنعته طول، إلا أنه يحمل في تضاعيفه ما يدل على التعلق والترتيب المذكورين آنفا، ويصور ما كان يتقصده صاحبه مع إجالة فكر وصنعة كلام، كيما يفي بالغرض الذي وضع من أجله، لأن ألفاظه وعناصره المشكلة له متماسكة، ومتسقة تركيبيا ودلاليا ومعجميا:

[13] - ينظر كتاب الكامل، المبرد، ص. 59.

[14] - وهو شرح على أرجوزة الخزرجي في العروض لابن زاكور الفاسي.

- أما **الاتساق التركيبي**: فقد تحقق بواسطة الوصل الذي ساهم في تقوية الأسباب بين مكونات العنوان، وجعل وحداته مترابطة ومتسقة، وقد تم عن طريق العطف بـ **الواو**، والموصولية **بما**.
- **أما الاتساق الدلالي**: فبواسطة الإحالة، وهي علاقة دلالية بين عنصر محيل وعنصر محال عليه، ومن العناصر التي ساهمت في هذا الاتساق داخل العنوان: اسم الإشارة "**هذه**"، لو افترضنا أن " **النفحات**" خبر لمبتدأ محذوف تقديره "**هذه**".
- **أما الاتساق المعجمي**: باعتباره مظهرا من مظاهر اتساق أسلوب العنونة، وذلك بترابط عناصر العنوان وأجزائه بغير أشكال الربط النحوي أو الدلالي، وإنما بواسطة العلاقات المعجمية القائمة بين مفردات العنوان وملفوظاته، عن طريق:

أ- **التكرار**: وذلك بإعادة عنصر معجمي بعينه لفظا ومعنى، أو الإتيان بمرادفه أو شبيهه، كما بين الألفاظ الآتية:

- ✓ الشعر ⟷ الآداب ⟵ العمدة لابن رشيق.
- ✓ المرقصات ⟷ المطربات ⟵ المرقصات والمطربات لابن سعيد المغربي.
- ✓ الأساليب ⟷ البديع ⟵ المنزع البديع للسجلماسي.
- ✓ الأمثال ⟷ الحكم ⟵ زهر الاكم لليوسي.
- ✓ النفحات ⟷ النسمات / الأرجية ⟷ البنفسجية.

ب- **التضام:** ويتحقق بواسطة علاقات معجمية كثيرة منها الطباق والجزئية والكلية والترتيب وغيرها. وتساهم هذه العلاقات في ضم ألفاظ العنوان ضمن دوائر معجمية لا على أساس الترادف أو المشابهة، وإنما على أساس علاقات أخرى تتضح بها جمل العنوان وعناصره المشكلة له. ويمكن التمثيل له ضمن عناوين أخرى كالآتي:

- علاقة الطباق: الكشف ≠ المستور ⟵ كشف المحجوب المستورة.
- علاقة الكلية: البستان = أزاهر ⟵ نشر أزاهر البستان.

والشيء الأكيد أن وراء هذا الاتساق مقاصد، أبرزها:

- ضمان تماسك أجزاء العنوان واتساق عناصره من حيث البنية والوظيفة.
- استيفاء أسباب الأسلوب التعبيري التبليغي في العنوان، فضلا عن قيامها بشرائط السلامة التركيبية.
- استيفاء شرائط التعليل العقلي، على اعتبار أن بنية العنوان ليست مجرد توالي الألفاظ واتساقها في عملية النطق بها، وإنما هو تناسق دلالاتها فيما بينها تناسقا يستوفي شروط ما يستسغيه منطق المتلقي وما يقتضيه عقله.

2- مبنى العنوان ومقتضيات المعجم :

لا شك أن مقتضيات سياق العنونة، وأسلوبها المؤثر تدعو المؤلف أن يكون يقظا في اختيار دواله المعجمية في تآلف حروفها وانسجامها مع ما ينتظمها بباقي عناصر تركيب

العنوان. لهذا لا تنحصر وظائف الألفاظ في بنية هذه العتبة عند حدود بعدها الصوتي أو السيميائي، بل أنها تلامس الدلالة وفق ما تخضع له من إستراتيجية فنية على مستوى الاختيار والتركيب، لا سيما حينما تستعمل كلمات تتحدر"من نفس الجذر اللغوي، أو كلمات لها جذور دلالية معجمية متقاربة من بعضها البعض، يربط فيما بينها، وينسقها وفقا لما يقتضيه سياق (العنوان) من جهة، ولما يقتضيه المعجم من الدقة وحسن الاختيار من جهة ثانية"[15].

ونشير هنا إلى أن اختيار اللفظة، ذات نبرة صوتية معينة، ومعان إيحائية متميزة لا تكفي في صنعة العنوان، وإكسابه ما يلزم من العمق البلاغي والتأثير الفني الجميل؛ لأنه يصاغ في تركيب، والتركيب برمته هو ما يكشف عن أسرار هذه العتبة ويسفر عن كثافتها التعبيرية؛ يقول الدكتور محمد مفتاح: " بيد أن الأصوات وما توحي به من معان والمعجم ومفرداته لا يكفيان في فهم النص، وكشف أسراره، وإنما يجب أن يصاغا في تركيب"[16].

ولعل أبرز تجليات هذا المنحى تكمن في العناوين ذات الكثافة الصوتية والإيقاعية، ونمثل لذلك بهذا العنوان: **الأرجوزة الأنيقة في المجاز والحقيقة**، للطيب عبد المجيد بن كيران الفاسي المتوفى سنة 1227 هـ، المشهود له بالعلم والصلاح في زمنه من معاصريه وأترابه، وقام بشرحها التهامي بن محمد البوري المتوفى سنة 1243 هـ، القاضي والعالم المعروف في مكناسة وفاس[17].

---

[15] - ينظر جمالية الخطاب الشعري عند بدوي الجيل، عصام شرتح، دار كنعان، دمشق، الطبعة الأولى، 2011، ص. 50.

[16] - تحليل الخطاب الشعري: إستراتيجية التناص، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1986، ص. 175.

[17] - تنظر مقدمتا الشارح والمحقق لهذا الشرح.

ويحيل هذا العنوان بداية على حقل معرفي مرتبط بثنائية المجاز والحقيقة في الدرس البلاغي القديم على أساس أن الألفاظ والعبارات في الكلام العربي تمضي في اتجاهين اثنين:

- إما أن تعبر عن المعنى على نحو تقريري مباشر؛
- وإما أن تستعمل في غير ما وضعت له في الأصل على مستويات: اللغة والشرع والعرف.

كما أن العناية بأناقة التعبير والنظم في مباحث الحقيقة والمجاز إنما هو مظهر من مظاهر عناية المغاربة بلغة القران، كتاب الله المعجز في فصاحة لغته وجزالة أسلوبه، وجودة صياغته ونظمه. وتظل البلاغة بمفهومها البياني من أقدر العلوم إحاطة بهذه الخصائص كلها لفظا ومعنى. لذا يرى أبو هلال العسكري أن : "أحق العلوم بالتعلم، وأولاها باللفظ، بعد المعرفة بالله عز وجل ثناؤه، علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحق، الهادي إلى سبيل الرشد، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة التي رفعت أعلام الحق، وأقامت منار الدين، وأزالت شبهة الكفر ببراهينه، وهتكت حجب الشك بيقينها، وقد علمنا أن الإنسان إذا أعقل علم البلاغة واخل معرفة الفصاحة، لم يقع علمه بإعجاز القران."[18].

وقد جاء عنوان هذا المؤلف الأرجوزة **الأنيقة في المجاز والحقيقة**، متمثلا لهذا المعنى على مستويين اثنين هما:

- الدلالة الاصطلاحية للمجاز والحقيقة بالمعنى المتداول في كتب البلاغة؛

[18] - مقدمة كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري.

- الدلالة العرفانية، على اعتبار أن المجاز والحقيقة ما عُبِّر عنه بالشريعة والطريقة، فإن الشريعة هي المجاز والمعْبَر إلى السعادة، والطريقة هي حقيقة المعرفة.

ويؤيد هذا الاحتمال قول الناظم:

ثم صلاته على محمـــد أساس كل نعمة وسؤدد

منه استعار كل ذي كمال وهديه المجاز للمعـالي[19]

بمعنى أنه من النبي صلى الله عليه وسلم، استعار أي اخذ واقتبس. وكل ذي كمال، أي صاحب شرف، وهديه بمعنى طريقه، المجاز للمعالي، وهو المعبر المسلوك لمن أراد المعالي من الأمور[20].

والأرجوزة من الرجز، أحد البحور الشعرية المعروفة، التي أولها الطويل، وأخرها المتقارب أو المتدارك. وهو مسدس الدائرة، مركب من مستفعلن ست مرات. كما أن الأرجوزة هنا تحيل على منظومة من المتون ذات طبيعة تعليمية صرف؛ إذ أن أهل العلم كانوا يتوسلون بهذا الوزن لترسيخ المحفوظ في أذهان الطلبة والمتعلمين لسهولة جريانه على اللسان، ونسقه الإيقاعي المنساب انسيابا إلى الأذهان.

[19] - تنظر الأرجوزة الأنيقة، للطيب ابن كبران، بشرح البوري، تحقيق ناجي بن عمر، دار إفريقيا الشرق، المغرب، طبعة 2003، ص. 21.

[20] - نفسه، ص. 27.

وأبرز ما يثير المتلقي لهذا العنوان لفظة **الأنيقة**، من أَنِق كفرح، وأنق الشيء: أحبه، وأنق به: أُعْجِب. وشيء أنيق: حسن مُعْجب، وأَنَّق تأنيقا: عجَّب. وتأنق فيه : عمله بالإتقان والحكمة[21]. واللفظ الأنيق، أي الخالي من عيوب الفصاحة إفرادا وتركيبا[22].

والملاحظ أن المعنى المعجمي يعتبر المستوى الأساس في البنية الكلية لعتبة العنوان، لهذا لا يمكن تصور معجم مستقل عن التركيب والدلالة والصوت، فحضور هذه العناصر نجدها في مختلف تعاريفه، فالوحدات التي تشكله تتصف بخصائص سيميائية وصوتية وتركيبية. كما أشار إلى ذلك أحد النقاد المعاصرين نقلا عن يوري لوتمان[23]. لذلك مفردات العنوان يتم اختيارها في سياق فني ذي صلة وثيقة بالمستويين التركيبي والدلالي، على اعتبار أن القدرة الوظيفية واللمسة الإيحائية والرمزية لكل من المستويين، تستمد سلطتها من المعجم بالدرجة الأولى[24]. فلا غرو إذن أن يعمد المؤلف إلى اختيار مفردات بعينها ضمن رصيد متراكم من الألفاظ المتقاربة في المعنى، فينتقي منها ما يراه مناسبا للتعبير عن مقصده في وجازة لفظ وكثافة في الدلالة وبعد إيحاء.

ونمثل لهذا الاختيار بلفظة **الأنيقة** السالفة الذكر، وقد تم اختيارها ضمن ألفاظ أخرى محتملة، تم العدول عنها؛ لأنها قد لا تعطي لصنعة العنوان جماليتها الممكنة، وتفقده الكثيرة من قوته الوظيفية القائمة بالأساس على ما تؤشر عليه اللفظة من معاني الفصاحة والحسن

---

[21] - ينظر القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة " انق".

[22] - قال الناظم : وذي الكلام صفة بها يطيق تأدية المقصود باللفظ الأنيق

[23] - جمالية الخطاب الشعري، عصام شرتح، ص. 23- 24

[24] - نفسه، 24.

والحكمة والإعجاب من حيث المبنى والمعنى معا، ذلك أن الأنيق حُسن شامل لظاهر الشيء وباطنه، كما يحصل في جملة الشيء وتفصيله[25] كما ورد في الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري. كما أن المعنى المعجمي لهذه الكلمة، قياسا مع الألفاظ الأخرى التي تصب في نفس المعنى، تقترن بالإتقان في انجاز العمل، والحكمة في بنائه وصوغه، مما يجعله مغنيا في بابه، ومُرْبيا على جميع التآليف التي قد تصنف أو تنظم في هذا العلم، وجامعا بنوع من الإتقان كلما قد تجود به الأراجيز المحيطة بهذه المنظومة، لاسيما أن حس التباري والتنافس عاملان أساسيان في وضع النصوص في عصر ابن كيران، العصر العلوي الأول، وتنقّل هذه النصوص وتداولها رواية وإقراء ومعارضة وشرحا، بغض النظر عن حجمها، لان ما يهم قيمتها العلمية.

وقد تساهم أناقة الأرجوزة في تنامي رواجها داخل سوق البلاغة، فضلا عن اندراجها ضمن النصوص المختارة، على نحو ما يؤشر على سؤال الانبهار والإعجاب بالنص المشروح. ومن ثم بيان ما يرشح به من قيم فنية متميزة وتبسيط غوامضه للطلبة والمتعلمين؛ إذ أن كثيرا من أهل العلم يتصدون لاختصار المتون المشهورة وتداولها على نطاق واسع، ويعتمدون خطة محكمة تبسط المشروح وتستوعب معانيه؛ قال ابن خلدون: " **ذهب كثير من المتأخرين الى اختصار الطرق والأنحاء من العلوم، يولعون بها، ويدونون برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ، وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن**[26]".

[25] - ينظر الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة 2013، ص. 291.

[26] - تنظر مقدمة ابن خلدون حول اختصار المثون وشرحها للمتعلمين.

وعليه يستند اختيار اللفظة في سياق العنوان إلى ثلاثة مبادئ رئيسية:

- الإيحاء في التعبير والكثافة في الدلالة؛
- إغناء المستوى الصوتي والإيقاعي للعنوان؛
- والمقصدية في الانتقاء المعجمي؛

مما يدل على أن مفردات اللغة وموادها المعجمية، هي المادة الخام التي يتصرف فيها المؤلف على غرار المبدع يوظف مهاراته في اختيار ما يراه مناسبا لصناعة العنوان وإحكام صنعته، ومحمّلا بمقاصد وإيحاءات ذات أبعاد رمزية، تمطط خصائص اللغة واستعمالاتها الفنية، بشكل يساهم في بناء الشكل الجمالي لعتبة العنوان.

وتوظيف مفردات اللغة في الصنعة الإبداعية لإنتاج المعنى بطريقة فنية مؤثرة يلخص خاصية الكتابة الإبداعية وعلاماتها الفارقة، يقول بول فاليري: " ليس الأدب/ الإبداع، ولا يمكن أن يكون إلا توسيعا لبعض خصائص اللغة واستعمالاتها"[27]. الشيء الذي يصنف طائفة من العناوين ضمن خانة النصوص الإبداعية بامتياز.

3- خطاب العنوان وملاءمة المعنى:

ويتمثل هذا المبدأ في ارتكاز خطاب العنوان على معنى ضمني، يدور حوله ويحدد قيمة المؤلَّف والمقصد من تأليفه، فينتبه المتلقي إلى ذلك ويدير تأويله عليه، على اعتبار أن عملية

[27] - تقلا عن كتاب بلاغة النص، لصادوق نور الدين، طبعة AL NAYA، ومحاكاة للدراسات النش والتوزيع، دمشق سوريا، الطبعة الأولى، 2013، ص.14.

التواصل بين واضع العنوان والمتلقي المؤول إنما تستند إلى الاشتراك بين الطرفين في تحقيق مغزى العنوان، والتعاون بينهما قصد تأسيس أغراضه. إضافة إلى أن المتكلم/ المؤلف يسعى إلى إنتاج ملفوظ يستحضر فيه مختف الاعتبارات السياقية لأوجز عبارة واقل مجهود، بنحو ما يجعل قصده مفهوما، فيؤوله المتلقي وفق السياق اللغوي واللساني المميز لمتواليات العنوان[28].

وعادة ما يشي هذا المعنى باعتداد المؤلِّف بمؤلفه على نحو ضمني وغير مباشر، مما يدعو المتلقي والقارئ إلى استحضار شروط إنتاجه قصد تأسيس أغراضه، ومن ثم تأويل المعنى الملفوظ والصريح لخطاب العنوان في ضوء المعنى الضمني، على اعتبار أن جملة العنوان تستلزم في خطابها معنى ضمنيا يكشف في العمق عن مقصدية المؤلف وغايته من وضع هذا العنوان أو ذاك، وانتقائه لمفردات وصيغ وحروف تجعل المعنى معلقا بمدى قدرة المتلقي، وبإشارة من المتكلم المؤلف، على إنتاجه والتعبير عن خطاب قصدي.

ولو تأملنا ما يزخر به التراث العربي المكتوب بالغرب الإسلامي من عناوين المؤلفات لانتهينا إلى ما تحويه من ألفاظ ذات شحنة دلالية وإيماءات رمزية، يسعى المؤلف بواسطتها إلى اختزال قيمة المؤلف واحتوائها بعمق وتميز، وذلك وفق مبدأ الملاءمة بينه وبين المتلقي

[28] - ينظر مقال بعنوان : الترجمة و التأويل التداولي، أحمد كروم، مجلة عالم الفكر، المجلد 41، العدد: 4، أبريل-ينونيو 2013.

باعتبارهما طرفين مشاركين في عملية التخاطب[29]. لهذا فالمؤلف يتوقع قارئا نموذجيا يتحرك في اتجاه تحقيق مقصد النص / العنوان بالشكل الذي يفكر فيه المؤلف نفسه[30].

ومن الملفوظات المثيرة للانتباه في عتبة بعض العناوين، والتي تقتضي إجراء تأويليا لإدراك معناها وضبطه وفق سياقها اللغوي، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

العمدة ← ما يعتمد عليه، أي يتكأ ويتكل، كالعماد. من عمد الشيء، إذا أقامه بعماد، كأعمده، فانعمد[31].

وهذا يعني أن ابن رشيق القيرواني يتقص دان يظل مؤلفه ما يمكن أن يعتمد عليه في بابي: الشعر والنثر، لأنه بمثابة الأساس والمستند لكل ما يجري حوله، كما انه بمنزلة الملاذ الآمن لكل باحث في مجال النقد والبلاغة. وكأني به يقول له: هذا المؤلف هو العمدة والمستند وما دونه تابع له، ولعله باطل. وقد استدل ابن خلدون على قيمة العمدة، مشيرا من طرف خفي إلى أنه العمدة فعلا قائلا: " **وبالجملة فهذه الصناعة [صناعة الشعر وآدابه] وتعلمها مستوفى في كتاب العمدة لابن رشيق (...)، ومن أراد استيفاء ذلك فعليه بذاك الكتاب، ففيه البغية من ذلك**"[32].

[29] - مقال: الترجمة و التأويل التداولي، ص. 209.

[30] - ينظر القارئ النموذجي، امبرتو ايكو، ترجمة أحمد بحسين، مجلة آفاق، اتحاد كتاب المغرب، العدد 8، 1988، ص. 42.

[31] - القاموس المحيط، مادة:"عمد".

[32] - تنظر مقدمة تحقيق كتاب العمدة، مصدر مذكور، ج. 1، ص. 13.

ومن هذا النوع كذلك نذكر:

المنهاج ← من النهج، وهو الطريق الواضح، كالمنهج[33].

ولعل حازما القرطاجني يروم وضع ضابط منهجي ومسلك فني صحيح يصون به صناعة الشعر من الانحراف عن الجادة، ويهدي الشعراء إلى ضبط آلياته وقيمه، وإحكام وضعه وانتقاء مواده، كي لا يخرجوا عن مهيع الشعر وينشغلوا بمحض التكلم[34]. ولإضاءة مسارب هذا المنهاج وضع له سراجا وهاجا يهتدون به في حوالك انتحاء نحو الفحول وسلوك مذهبهم في هذه الصناعة.

ومنها كذلك:

المطرب ← الطرب من الأضداد، أي الفرح والحزن. والإطراب والتطريب: التغني.

وتلخص هذه اللفظة، طبيعة المقاييس البلاغية والفنية المعتمدة من قبل ابن دحية الكلبي، المتوفى سنة 633 هـ، في اختيار أشعار أهل المغرب، فضلا عن أنها تلخص إلى حد ما طبيعة الانفعال الجمالي الذي سيبديه المتلقي إزاء محتوى المؤلف. كما أن لفظة **المطرب** تؤشر على المبدأ المتحكم في اختيار الأشعار، متمثلا في ما يطرب من الغزل والنسيب والوصف والتشبيب (...) وغيرها[35].

---

[33] - القاموس، مادة نهج.

[34] - ينظر منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بلخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص. 10.

[35] - تنظر شعرية التلقي، بقشى عبد القادر، ضمن حوليات كلية اللغة العربية، العدد العشرون، 1426- 2005، ص. 89، و ص. 94.

ولا شك في أن هذا المنظور في تلقي العنوان وتحليل عتبته يتيح الوقوف على الكثير من المقاصد التي يستلزمها الخطاب المتضمن في ألفاظه وصيغه، والعناصر المعتمدة في صوغ هذه العتبة؛ لأن أي عنوان يدعو المتلقي إلى الإجابة على سؤالين هما :

- ماذا يقصد المؤلف بهذا الملفوظ؟
- ولماذا اختار هذه العبارة دون تلك؟

وبدل الوقوف عند ظاهر اللفظ وحدوده، فإننا عن طريق اللاشعور بالإجراءات التداولية، نفكر أساسا فيما يقوله العنوان، ثم نستنتج في ضوء مجموعة من الشروط والمرجعيات ما يقصده المؤلف من وراء هذه العبارة من غير أن يتلفظ به[36]. لأن العنوان في نهاية المطاف تلخيص لمحتوى الكتاب ومقاصده، واستدرار لما في مجاله المعرفي، وبعبارة أخرى فهو نص مجمل في مقابل نص مفصل وهو المؤلّف.

4- التشاكل بالمماثلة في مبنى العنوان:

المقصود بالتشاكل هنا، التشابه القائم بين عناصر العنوان على مستويات المعجم والتركيب والإيقاع والدلالة، والتشاكل بالمماثلة يؤدي إلى تحقيق وظيفة جمالية لا تقل قيمة وشأنا عن وظيفته التركيبية. كما أنه يساهم في خلق علاقات خفية تسهم في الانسجام والتفاعل بين مكونات هذه العتبة: حروف وأصوات ومعان· وقد أشار الدكتور محمد مفتاح إلى أن

[36] - تنظر مجلة عالم الفكر، عدد سابق، ص. ص. 210-211.

"مصطلح التشاكل أو التنسيق قد وظف في التحليل الانتربولوجي، وفي اللسانيات وفي علم النفس للحصول على معلومات حول الخصائص العميقة لحقل مفهومي معين في استعمال لغوي ولإثبات انسجام رسالة النص "[37].

وتتمثل هذه السمة الأسلوبية في بنية مجموعة من العناوين، الغاية منها خلق نوع من الانسجام بين مكونات العنوان من خلال ما تسفر عنه من جرس موسيقى خاص، ونغمة صوتية لافتة، وذلك بواسطة المزاوجة بين عناصر قائمة على التشابه والتطابق كما في العناوين الآتية:

- ✓ المنزع **البديع** في تجنيس أساليب **البديع** لأبي محمد القاسم السلجماسي (ق7-8).
- ✓ الصنيع **البديع** في شرح الحلية ذات **البديع** لابن زاكور (1120 هـ).
- ✓ المسلك **السهل** في شرح توشيح ابن **سهل** للإفراني (1153هـ).

ويتضح هذا المعطى من خلال الأزواج المتشاكلة القائمة على التتابع والتطابق:

- البديع = البديع / البديع = البديع / السهل = السهل

ويقوم المؤلف على مستوى هذا النوع من التشاكل بانتقاء ملفوظات من حقل دلالي واحد متجانس صوتيا وإيقاعيا، فضلا عن تشاكل ألفاظه تشاكل مماثلة أو تشاكل مجاورة[38].

[37] - التشابه والاختلاف، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، البيضاء، 1996، ص. 13.

[38] - يعد التشاكل من المفاهيم التي اتسعت دائرة استعمالها بين مختلف الحقول المعرفية المهتمة بتحليل الخطاب من بلاغة وأسلوبية وتداوليات وسيميائيات وغيرها. وقد حددها غريماس فيما يرد من تعابير اللغة وصياغتها: متشابهة أو متماثلة أو متقاربة مرفولوجيا أو نحويا أو إتباعيا أوتركيبيا أو معنويا.

كما يخضع العنوان في بنيته الصوتية لتردد عنصرين متعادلين على نحو ما يحافظ على مبدأ التوازي في نسقه التركيبي، والتماثل في بنيته الشكلية والإيقاعية على النحو الآتي:

البديع = الربيع ⟵ البديع في وصف الربيع لأبي الوليد الحميري (440 هـ).

المعاني = الغواني/ القلائد = الفرائد ⟵ تجلي غرر المعاني عن مثل صور الغواني للأعلم الشنتمري (476هـ).

الأدب = العرب ⟵ صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب لأبي العباس الجراوي (629 هـ).

المطرب = المغرب ⟵ المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية (633 هـ).

المريع = البديع ⟵ الروض المريع في صناعة البديع لابن البناء المراكشي (721 هـ).

أخبار = أزهار ⟵ أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض لشهاب الدين التلمساني (1041 هـ).

الأكم = الحكم ⟵ زهر الأكم في الأمثال والحكم لأبي علي اليوسي (1102 هـ).

الأماني = التهاني ⟵ نيل الأماني في شرح التهاني لليوسي.

الفتاح = المفتاح ⟵ مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي (1128 هـ).

وباستقصاء النظر في هذه العناوين نلحظ ما حققته المماثلة الصوتية من وظائف لعل أبرزها:

- **الوظيفة الإيقاعية:** يتردد أصوات متجانسة، وبنى صرفية متآلفة، يأخذ بعضها بأعناق بعض على نحو شاعري لافت.
- **الوظيفة الإيحائية والدلالية:** على أساس أن هذا التماثل والتشابه الصوتي قد أسفر عن كثافة فاعلة على المستوى الدلالي والرمزي، ذلك أن دلالة العنوان لا تتأتى من ألفاظه وتركيبه فحسب، وإنما من التفاعل الدلالي لهذه العناصر مجتمعة في تناغمها التام مع جانبها الصوتي بتجلياته الصرفية والتركيبية والدلالية.
- **الوظيفة الجمالية:** على اعتبار أن التماثل البنيوي بين مكونات العنوان، من حيث الشكل والتسلسل والترتيب، يضفي تلوينا فنيا ولمسة جمالية على بنية هذه العتبة، بنحو ما يساهم في خلق متعة فنية ولذة جمالية في ذهن المتلقي وإثارة توقعه.

وهذا يعني أن المؤلف يراهن على صنعة العنوان بهدف تكثيف الإقبال على المؤلف من خلال ما يؤشر عليه من أبعاد وإيحاءات ما كانت لتنقدح في ذهن المتلقي لولا هذا التشاكل بين المفردات والتراكيب والأصوات. وهذا يقودنا إلى القول: إن تردد عنصر أو مجموعة من العناصر في بنية العنوان، وتجانس ألفاظها، وتوازن أصواتها من العوامل الفنية التي تساهم في خلق كثافة إيقاعية توفر اكبر إمكانية للتأويل وتعددية النص. ومن ثم فان

سيميائية التشاكل الإيقاعي تجعل تردد البنيات الصوتية عاملا أساسيا من عوامل التفاعل بين الأصوات والدلالة[39].

5- مبنى العنوان وحروف المعاني:

لا شك أن لحروف المعاني أهمية كبرى في نسيج العنوان، لأنها تساهم في تماسك أجزائه وترابط عناصره، وشد أطرافه. ومن ثم فهي تدخل ضمن النسق التركيبي العام للعنوان. كما أن دورها لا يقف عند حدود الحفاظ على صحة الروابط والعلاقات النحوية، دون أن يتجاوز ذلك إلى إضفاء بعد فني ودلالي على العنوان. خلافا لما قد يعتقد أن الاتساق التركيبي بواسطة الروابط النحوية لا يعدو أن يكون وسيلة لضمان شرط العبارة وصحة تأليفها. يقول جمال الدين بن الشيخ: "إذا كانت القواعد تتحكم في العلاقات بين مختلف عناصر اللغة، ضامنة لشرط العبارة، فإنها لا تلعب أي دور في شعرنتها، والمثال يوجد في هذه التأليفات الصحيحة صحة تامة في أعين النحاة، إلا أنها لا تتوفر على أية فضيلة شعرية، وهي بالتالي غير مستعملة"[40].

ومن المعلوم بالضرورة في البلاغة العربية أن الاستعارة التبعية تقع في الحرف كما تقع في المشتقات من المصدر، وفي هذا يقول الناظم:

والحرف شبّه أولا ما فُسِّرا ... به كالاستعلا بمعنى قُرِّرا

لحرف آخر وجيء بالثاني ... مكان ما أُصِلَ للإثيان

[39] - ينظر الموازنات الصوتية، محمد العمري، دار إفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الأولى، 2001، ص.188.

[40] - الشعرية العربية، جمال الدين بن الشيخ، ترجمة مبارك حنون ومحمد اوراغ ومحمد الولي، دار توبقال للنشر، المغرب، الطبعة الأولى، ص.101

بمعنى أن الحرف قد يستعمل في سياق ينزاح فيه عن معناه الأصلي، وفق ضوابط وشروط، وذلك بان تُشَبّه أولا متعلَّق معنى حرف، وهو ما فسر الحرف به من معنى كلي كالظرفية والاستعلاء والملابسة أو غيرها، لمتعلق معنى حرف آخر... فتكون استعارة تبعية في الحرف[41].

وعلى هذا الأساس فمعنى " في" مثلا في سياق هذا العنوان: **الأرجوزة الأنيقة في المجاز والحقيقة**، يفيد الظرفية المجازية أو المعنوية، على اعتبار أنها تدل على حيز غير معين، وليس له صورة تدرك بالحس الظاهر، إنما هو مجاز يدرك بالعقل. لهذا شبه المؤلف مطلق ارتباط بين أمرين بمطلق ارتباط بين ظرف ومظروف بجامع التمكن. وبعبارة أخرى استعيرت الظرفية، أي حلول المظروف في الظرف لارتباط الأرجوزة بالمجاز والحقيقة، وجيء ب "في" للدلالة على تلك الظرفية.

وتجدر الإشارة هنا أنه لم تستعر " في" نفسها لعدم استقلالها بالمفهومية، إنما سرى التشبيه من الكليات (مطلق الارتباط) إلى الجزئيات (معاني الحروف)، فاستعيرت " في" من الظرفية الحقيقة إلى الظرفية المجازية.

كما أن حرف " في" في عتبة: **عنوان النفاسة في شرح الحماسة** مثلا: متعلقة بالنفاسة، لأن هذه الأخيرة مصدر، وفي " في" تفيد الظرفية المعنوية كذلك، يقول ابن مالك في ألفيته:

وزيد والظرفية استبن بـبا وفي، وقد يبينان السببا

[41] - الأرجوزة الأنيقة، ص. 56.

وسبك البيت: واستبن بالباء، وفي الظرفية، وقد يدلان على السببية. والظرفية المعنوية تعني أن هذا الشرح ظرف وحيز لكل ما هو نفيس، أي يتنافس فيه ويرغب.

نفس الشيء بالنسبة لحرف " من" في عنوان: **تجلي غرر المعاني عن مثل صور الغواني والتحلي بالقلائد من جوهر الفرائد** للأعلم الشنتمري الأندلسي، فمعناها البيان، أي بيان الجنس، بدليل جواز الإخبار بما بعدها عما قبلها، على نحو ما يذكر النحاة في هذا الباب. فنقول: القلائد هي الفرائد. كقوله تعالى: " يُحَلَّوْن فيها من أساور من ذهب"، فنقول الأساور هي ذهب.

و"من" البيانية ومجرورها في موضع الحال مما قبلها لأنه هنا معرفة "القلائد" ويكون نعتا إن كان نكرة. لهذا يتضح أن لحروف الجر باعتبارها من حروف المعاني كالاستفهام والعطف وغيرها، لها دور كبير في الارتقاء بعتبة العنوان إلى مرتبة من التعبير البليغ، لأن المؤلف يصدر عن صنعة فنية في توظيفها بما يتلاءم ومقاصده من التأليف ككل

ولو تتبعنا طبيعة العلاقات التركيبية التي تكشف عنها حروف الجر في متن العنوان لأمكننا الوقوف على ما اختبأ خلف السطح اللغوي لهذه العتبة، علاوة على أن تمعن القرابة الدلالية بينها وبين باقي العناصر المشكلة لعنوان المؤلف، سيفضي بنا لا محالة إلى الإمساك بالسياق المعرفي والمقصد الفني المؤطر لمبنى العنونة.

6- الوظيفة التأثيرية للعنوان:

إذا كانت هذه العناوين في معظمها تنهض على أسلوب التكثيف الدلالي، فمرد ذلك بالأساس إلى استثمار المؤلف لمكون التعبير بالإيحاء والتصوير، بوصفه مكونا أساسيا من مكونات بناء المعنى في سياق عتبات العنوان. وعليه فالمتلقي يقع تحت رحمة مشيرات لفظية صادرة عن ذات مبدعة في صياغة مداخل الكتاب.

وهذه الذات تروم تحقيق مقاصد معينة في ضوء " تضمين هذه العتبات ومنها العنوان طبعا، صورة قارئه النموذجي الذي يفترض أن يتعامل معه ويؤوله على نحو ملائم "[42]. لهذا فالوظيفة التأثيرية للعنوان تستمد قوتها من القدرة على مخاطبة العقل والانفعال على حد سواء بمعنى أخر أن لبنية العنوان طاقة فنية تتحول عبرها الألفاظ إلى عامل / حدث فني يتحكم في صياغتها تصور يراد منه تحقيق وظيفتين:

- وظيفة استدلالية حجاجية: غايتها الوصول إلى عقل المخاطب وذهنه، وفق نسق لغوي وبناء أسلوبي يحكمه سياق تواصلي معين من أجل تحصيل المطلوب من العنوان[43].
- وظيفة نفسية: قوامها التأثير في نفسية القارئ، على أساس أن صنعة العنوان تشف عن رغبة المؤلف في جعل هذا القارئ / المتلقي ينفصل عن ذاته الواقعية ليرتبط بذاته

[42] - ينظر مقال بعنوان: في سيميائيات التلقي، المصطفى شادلي، ضمن مجلة عالم الفكر، المجلد 35، عدد 3، يناير-مارس 2007، عدد خاص بموضوع السيميائيات، ص. 201 وما بعدها.

[43] - حجاجية المجاز و الاستعارة، حسن المودن، ضمن كتاب الحجاج : مفهومه و مجالاته، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، الطبعة الأولى، 2010،ج. 3، ص. 158.

التخلية، فيقيم تواصلا فنيا مع العنوان، أدعى إلى الانفعال مع مقاصده الرمزية، وتمكين أبعاده في القلب بأحسن صورة من اللفظ، بتعبير أبي عيسى الرماني في تعريف بلاغة التأثير الفني الجميل أو بلاغة التلقي.

تركيب:

صفوة القول: فعتبة العنوان تشف عن طاقة إبداعية وصنعة فنية، تمتح مما تتيحه اللغة من إمكانات اللمحة الدالة والإشارة البليغة من أجل إنتاج كثافة تؤثر في المتلقي وتثير استجابته.

كما أن صنعة العنوان تستمد طاقتها من اللغة الإيحائية المؤسسة على المكون البلاغي، ويحضر المعجم بتجلياته اللغوية والرمزية، وبلاغة الإيجاز، والتوازي والتركيب.. على نحو ما يفسح المجال أمام بلاغة التلقي والتأويل.

وبلا شك، فبنية العنوان ذات شحنة متفاعلة من العناصر وكتلة متكاملة من الأجزاء، يتعذر الإمساك بمقاصد المؤلف من مؤلفه دون التوقف عندها واستيعاب مضامينها وأبعادها.

وإذا أشرنا في ما تقدم إلى أن العنوان منافس شرس لخطاب المقدمة، فمرد ذلك إلى ما يتميز به من خاصية التكثيف على مستوى مكوناته الأساسية مما يجعله قادرا على التأثير وبقوة، فيحقق الهدف الذي يتوخاه المؤلف لأول وهلة دون العودة إلى المشيرات النصية الموازية الأخرى.

فالعنوان إذا في كتب التراث النقد والبلاغي بمثابة الشرارة الأولى التي توقظ خبايا الذات القارئة وتثير فضولها المعرفي لترتبط بعالم الكتاب وتعلق به، وتسعى إلى تعرف موضوعه قياسا إلى الكتب الأخرى.

ولن يتأتى هذا وذاك إلا بواسطة صنعة إبدعية وصياغة تعبيرية متميزة، قادرة على إثارة تواصل بلاغي وتفاعل تواصلي يبلور الإبداع الكامن في العنوان فيستوعبه في أهم جوانبه ومقاصده.

لائحة المصادر والمراجع

1- الأرجوزة الأنيقة في المجاز والحقيقة، الطيب ابن كيران، شرح البوري، دار أفريقيا الشرق، المغرب، 2003.

2- البيان والتبين، أبو عثمان الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة دار التأليف بمصر، الطبعة الثالثة، الجزء الأول، 1968.

3- تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1986.

4- التشابه والاختلاف، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، البيضاء، 1996.

5- جمالية الخطاب الشعري عند بدوي الجبل، عصام شرتح، دار كنعان، دمشق، الطبعة الأولى، 2011.

6- الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد وتقديم حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، الطبعة الأولى، 2010، الجزء الثاني والثالث.

7- دينامية النص: تنظير وانجاز، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1987.

8- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة دار الجيل، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة، الجزء الأول، 1972.

9- مناهج النقد الأدبي بالمغرب، علال الغازي، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء المغرب، الطبعة الأولى، 1999.

10- الموازنات الصوتية، محمد العمري، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2001.

11- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 2013.

12- القاموس المحيط، لابن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق أبي الوفاء نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 2007.

13- نقد النثر، قدامة ابن جعفر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان 1980.

14- مجلة عالم الفكر، المجلد 35، العدد3، يناير- مارس، عدد خاص بالسيميائيات، 2007.

15- مجلة عالم الفكر، المجلد 41، العدد 4، ابريل – يونيو، عدد خاص بالنقد 2013.

16- Gerard Genette , Seuils, Paris, Seuil 1987

مركز روافد للدراسات والأبحاث في حضارة المغرب وتراث المتوسط
Rawafed center for Studies and Researches in Maghreb Civilization and Mediterranean Heritage

مركز روافد للدراسات والأبحاث في حضارة المغرب وتراث المتوسط.

مؤسسة بحثية متخصصة في الفكر المغربي-الأندلسي والدراسات التراثية.

Rawafed Center for Studies and Research in the Maghreb Civilization and the Mediterranean Heritage.

A Research Institution Specialized in Maghreb-Andalusian thought and Heritage Studies.

Email: centrerawafed @ gmail.com

centrerawafed

جميع الحقوق محفوظة © 2019